

الخميس 26 فيفري 2026

مقياس : مناهج وتقنيات البحوث الكيفية في السمعى البصرى

المحاضرة الرابعة : الأسس الفلسفية والنظرية للبحث الكيفى (المنهج التأويلى، البنيوية، ما بعد البنيوية)

تمهيد

لا يمكن فهم البحث الكيفى باعتباره مجرد مجموعة تقنيات لجمع البيانات، بل هو قبل ذلك اختيار فلسفى وإبستمولوجى يستند إلى تصورات معينة حول طبيعة الواقع، والمعنى، واللغة، والعلاقة بين الذات والموضوع ، فالتحليل الكيفى للخطابات والصور والمضامين السمعية البصرية يقوم على خلفيات نظرية عميقة تشكل إطاره المرجعى وتحدد زاوية النظر إلى الظاهرة المدروسة.

وتعد التأويلية، والبنيوية ، وما بعد البنيوية من أبرز المرجعيات الفكرية التى أثرت فى تطور البحث الكيفى، خاصة فى الدراسات الإعلامية والسمعية البصرية.

أولاً : المنهج التأويلى

1. المدخل المفاهيمى :

يرتبط المنهج التأويلى بفكرة أن فهم الظواهر الإنسانية لا يتحقق عبر القياس، بل عبر تفسير المعانى الكامنة فى النصوص والخطابات والأفعال ، وقد تطور هذا المنهج من تفسير النصوص الدينية إلى تحليل النصوص الثقافية والاجتماعية.

2. الجذور الفلسفية

تعود جذور التأويلية الحديثة إلى أعمال الفيلسوف الألمانى فيلهلم دلتاي Wilhelm Dilthey الذى ميّز بين تفسير الظواهر الطبيعية وفهم الظواهر الإنسانية، معتبراً أن العلوم الإنسانية تقوم على الفهم لا على التفسير السببى ، كما تطورت لاحقاً مع الفيلسوف الألمانى هانز جورج جادامير Hans-Georg Gadamer الذى أكد أن الفهم عملية تاريخية تتأثر بأفق الباحث وسياقه الثقافى.

### 3. المبادئ الأساسية للمنهج التأويلي

- ❖ المعنى ليس ثابتاً بل يُبنى في سياق تاريخي وثقافي
- ❖ الفهم عملية حوارية بين النص والقارئ
- ❖ لا وجود لقراءة نهائية مغلقة
- ❖ السياق عنصر أساسي في التفسير

### 4. المنهج التأويلي في الدراسات السمعية البصرية

يعتبر المنهج التأويلي إطاراً نظرياً أساسياً في الدراسات السمعية البصرية، إذ تنطلق من اعتبار المنتج الإعلامي نصاً رمزياً مفتوحاً على تعدد المعاني، لا مجرد وسيط تقني لنقل المعلومات ، فالصورة والصوت والسرد البصري تشكّل نسقاً دلاليّاً يُبنى داخل سياق ثقافي وتاريخي محدد، ويتحقق فهمه من خلال العلاقة التفاعلية بين النص والمتلقي. ومن هذا المنظور، لا يُنظر إلى المعنى باعتباره ثابتاً أو نهائياً، بل بوصفه نتاجاً لعملية تفسير تتأثر بخلفية المشاهد وأفق انتظاره ، لذلك يركّز التحليل التأويلي في البحث الكيفي على كشف الدلالات الكامنة وراء الخطاب السمعي البصري، وتفسير تمثلات القيم والهوية والسلطة التي تتجاوز المستوى الظاهري للصورة والصوت.

في مجال السمعي البصري، يُنظر إلى البرنامج التلفزيوني كنص ، الفيلم كبنية رمزية ، الإشهار كخطاب ثقافي ويتم تحليلها عبر البحث عن الدلالات والمعاني التي تتجاوز المستوى الظاهري للصورة والصوت.

### ثانياً: البنيوية

#### 1. المدخل المفاهيمي :

تقوم البنيوية على فكرة أن الظواهر الثقافية لا تُفهم من خلال عناصرها الفردية، بل من خلال البنية التي تنتظم داخلها، فهي تركز على العلاقات الداخلية بين العناصر وليس على نوايا الأفراد.

## 2. المرجعية الفكرية

ترتبط البنيوية بأعمال عالم اللسانيات السويسري فردينان دو سوسور Ferdinand de Saussure الذي اعتبر أن اللغة نظام من العلاقات بين الدوال والمدلولات ، كما طُبِّقت البنيوية في الأنثروبولوجيا مع الباحث الفرنسي كلود ليفي ستروس Claude Lévi-Strauss الذي درس الأساطير باعتبارها أنظمة رمزية ذات بني عميقة ، ووجد أن أساطير الشعوب المختلفة تتشابه في بنيتها .

## 3. مبادئ البنيوية

- ❖ أولوية البنية على الفرد
- ❖ المعنى ينتج من العلاقات داخل النظام
- ❖ اللغة نظام من الفروق
- ❖ التركيز على البنى العميقة غير الظاهرة

## 4. البنيوية وتحليل السمع البصري

في الدراسات السمعية البصرية، تُستخدم البنيوية لتحليل:

- ✓ بنية السرد في الأفلام
- ✓ العلاقات بين الشخصيات
- ✓ أنظمة الرموز في الإشهار
- ✓ البنية الثنائية (تقليدي، حديث - ذكر، أنثى - مركز، هامش)

## ثالثاً: ما بعد البنيوية

### 1. التحول النظري

ظهرت ما بعد البنيوية كرد فعل على البنيوية، معتبرة أن البنى ليست ثابتة، وأن المعنى ليس مستقراً.

### 2. أبرز المساهمين

من أبرز ممثلي هذا الاتجاه الفيلسوف الفرنسي Michel Foucault الذي ركز على العلاقة بين الخطاب والسلطة، والفيلسوف الفرنسي-جزائري Jacques Derrida الذي طرح مفهوم التفكيك ونقد مركزية المعنى.

### 3. المبادئ الأساسية لما بعد البنيوية

- ❖ المعنى غير ثابت ومتعدد
- ❖ اللغة لا تعكس الواقع بل تبنيه
- ❖ الخطاب مرتبط بالسلطة
- ❖ لا وجود لبنية مغلقة أو مركز نهائي للمعنى

### 4. ما بعد البنيوية في الدراسات الإعلامية

تُستخدم لتحليل:

- ✓ الخطابات الإعلامية باعتبارها آليات لإنتاج السلطة
- ✓ تفكيك الصور النمطية
- ✓ الكشف عن الإقصاء والتهميش في الخطاب
- ✓ تحليل التعدد التأويلي للنصوص السمعية البصرية

### رابعاً: التكامل بين الاتجاهات الثلاثة في البحث الكيفي

رغم اختلاف هذه المرجعيات، فإنها تشترك في:

- + رفض الاختزال الكمي للظواهر الإنسانية
- + التركيز على المعنى واللغة
- + اعتبار النص والخطاب موضوعاً للتحليل
- + الاهتمام بالسياق الثقافي والاجتماعي

ويستفيد البحث الكيفي المعاصر من هذه المرجعيات بصورة تكاملية، خاصة في تحليل الصورة والخطاب

والرموز في المجال السمعي البصري.

## خلاصة

يمثل البحث الكيفي امتداداً لتقاليد فلسفية عميقة تقوم على فهم المعنى وتحليل البنى الرمزية وتفكيك الخطاب ، وقد ساهم المنهج التأويلي في ترسيخ مركزية الفهم أي جعل الفهم التأويلي للمعنى محورا أساسيا في دراسة الظواهر الإنسانية ، بينما أبرزت البنيوية أهمية البنية والعلاقات الداخلية للنص، في حين كشفت ما بعد البنيوية عن تعددية المعنى وعلاقته بالسلطة، وتشكل هذه الاتجاهات مجتمعة الأساس النظري الذي يستند إليه الباحث الكيفي في دراسة الظواهر الإعلامية والسمعية البصرية في أبعادها الرمزية والثقافية.